بدأ النقد في العالم ساذجاً ، فطرياً وتأثريا ، يقوم على الاستحسان او الاستهجان ، من غير تعليل ، لكنه شرع ينمو ويتطور مع صعود الانسان وتقدمه في مدارج العلم والحضارة ، اذ صار النقد يعرف القواعد والاصول ، فيعلل للاحكام التي يصدرها ، ويتخذ طرقاً ومذاهب مختلفة في فهم الادب وتفسيره وتقويمه . فكان ان ظهرت مناهج نقدية متنوعة هي نتاج فلسفات وتيارات فكرية عرفتها الانسانية عبر مسيرتها الطويلة . وفيما يأتي عرض موجز لخمسة من هذه المناهج هي ، التاريخي والتأثري والنفسي والاجتماعي والبنيوي .

المنهج التاريخي :

يقوم المنهج التاريخي على دراسة الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية للعصر الذي ينتمي اليه الادب ، ويتخذ منها وسيلة او طريقاً لفهم الادب وتفسير خصائصه واستجلاء كوامنه وغوامضه ، لان اتباع هذا المنهج يؤمنون بان الاديب ابن بيئته وزمانه ، والادب نتاج ظروف سياسية واجتماعية يتأثر بها ويؤثر فيها . بعبارة اخرى يعنى المنهج التاريخي اساساً بدراسة العوامل المؤثرة في الادب وصلته بزمانه وعصره ، « فمعرفة التاريخ السياسي والاجتماعي لازمة لفهم الادب وتفسيره ، وكثيراً مايستحيل فهم نص ادبي قبل دراسة تاريخية عريضة ، والكتب صدى لما حولها من امور . ونحن معرضون للخطأ في فهم وتقدير آراء الادباء واخيلتهم مالم نلاحظ صلتهم بعصورهم ، واذا كان الاديب ثمرة بيئته وعصره ، فقد لايكون نابغة او عبقرياً لو تقدم عصره او تأخر عنه مادامت عوامل البيئة قد وجهته » .(١)

للتاريخية معنيان عام وخاص . أما العام فيعني ان ننظر الى الفرد في علاقاته بالتطور البشري ، والى الادب والحركات الادبية تبعاً للتطور الاجتماعي والسياسي والديني . ويرتبط هذا المعنى للتاريخية بالفلسفة اكثر منه بالادب والنقد . وأما الخاص فيعني ان يرتبط الحدث بزمن ، ومن ثم تقسيم الادب الى عصور وصفات كل ادب من كل عصر وعلاقة هذه الصفات بالصفة الغالبة للعصر في منحاه السياسي الغالب . وهذا المعنى هو المقصود هنا من (التاريخي)(٢)

---

(١) ماهر حسن فهمي ، المذاهب النقدية ، ص ١٨١ ـ ١٨٢ .

(٢) علي جواد الطاهر ، مقدمة في النقد الادبي ، ص ٣٩٧

إن « المنهج التاريخي في النقد ـ شأن اي منهج ـ حساس ، اذا فقد فيه صاحبه توازنه زلت به قدمه واختل ميزانه ، وصار مؤرخاً او جماعة ، وحكمه العصر بمقياسه وحكمه ، وصار النص الادبي لديه مادة للتاريخ ، ولم يصر التاريخ مادة للنقد . ويقتضي هذا ان يحدد الناقد ـ منذ البداية ـ علاقته بالتاريخ : هو ناقد له المؤهلات اللازمة ، صميم عمله النص الادبي بما فيه من حياة العواطف والاخيلة ، وهو يستعين بتاريخ العصر ونظمه السائدة على استجلاء النص الادبي ، وادراك ماخبأة الزمن وراء حروفه والعلم بما تضمن ـ او اشار اليه ـ من وقائع واحداث ومواقع واعلام ، وتحديد ما كان لالفاظه ومصطلحاته من دلالات خاصة . »(٣)

يُعدّ الناقد الفرنسي تين من النقاد الاوائل الذين استخدموا المنهج التاريخي في دراسة الادب ، فقد ذهب الى وضع الاثر الفني في مجموعة « يرتبط بها الاثر وتفسر هي الاثر » والمجموعة هي انتاج الفنان نفسه والجماعة الفنية التي ينتمي اليها والمجتمع الذي انتجها . من هنا جاءت هذه القاعدة « لكي تفهم اثراً فنياً او فناناً او جماعة من الفنانين ، فلابدّ من ان تتصور بدقة الحالة الفكرية والاخلاقية العامة التي ينتسب اليها الاثر او الفنان او جماعة الفنانين . فهاهنا يكمن التفسير الاخير ، وهاهنا يكمن السبب الاولي الذي يحدد ماسواه . »(٤) وعند تين ان الادب يفهم ويفسر في ضوء عناصر ثلاثة هي الجنس والبيئة والعصر ، وقصد بالجنس الصفات التي يرثها الاديب وتؤثر فيه ، والعصر هو الاحداث السياسية والاجتماعية التي تكون طابعاً عاماً يترك آثاراً عظيمة في أدب الاديب ، والبيئة هي البيئة الجغرافية التي يعيش فيها الاديب وتؤثر فيه . أما مايخص الادب والنقد العربي ، فيعد طه

أما مايخص الادب والنقد العربي ، فيعد طه حسين ابرز من استخدم هذا المنهج في دراساته عن الادب العربي القديم مثل (حديث الاربعاء) و (تجديد ذكرى ابي العلاء) ، ومما جاء فيه « ليس الغرض في هذا الكتاب ان نصف حياة ابي العلاء وحده ، وانما نريد ان ندرس حياة النفس الاسلامية في عصره ، فلم يكن لحكيم المعرة ان ينفرد باظهار اثاره المادية او المعنوية ، وانما الرجل وماله من آثار واطوار نتيجة لازمة وثمرة ناضجة لطائفة من العلل ، اشتركت في تأليف مزاجه وتصوير نفسه ، من غير ان يكون له عليها سيطرة او سلطان . من هذه العلل المادي والمعنوي ، ومنها ماليس للانسان به صلة . وما

---

(٣) المرجع نفسه ، ص ٣٩٨

(٤) اندريه ريشار ، النقد الفني ص ٦١ ـ

بينه وبين الانسان اتصال . فاعتدال الجو وصفاؤه ورقة الماء وعذوبته وخصب الارض وجمال الربى ونقاء الشمس وبهاؤها . كل هذه علل مادية . تشترك مع غيرها في تكوين الرجل وتنشىء نفسه . بل في الهامه مايعنّ له من الخواطر والاراء . وكذلك ظلم الحكومة وجورها . وجهل الامة وجمودها . وشدة الآداب الموروثة وخشونتها . كل هذه او نقائضها تعمل في تكوين الانسان عمل تلك العلل السابقة . والخطأ كل الخطأ ان ننظر الى الانسان نظرنا الى الشيء المستقل عما قبله وما بعده . ذلك الذي لايتصل بشيء مما حوله . ولا يتأثر بشيء مما سبقه او احاط به . ذلك خطأ . لان الكائن المستقل هذا الاستقلال لاعهد له بهذا العالم .

انما يأتلف هذا العالم من اشياء يتصل بعضها ببعض ويؤثر بعضها في بعض ... واذا صح هذا كله . فابو العلاء ثمرة من ثمرات عصره . قد عمل في انضاجها الزمان والمكان والحال السياسية والاجتماعية والحال الاقتصادية ... فالمؤرخ الذي لايؤمن بالمذاهب الحديثة . ولا يصطنع في البحث طرائقه الطريفة . ولا يرضى ان يعترف بما بين اجزاء العالم من الاتصال المحتوم . ولا ان يسلم بان الشيء الواحد على صغره وضآلته انما هو الصورة لما اوجده من العلل . ولا يطمئن الى ان الحركة التاريخية جبرية ليس للاختيار فيها مكان . المؤرخ القديم الذي يرفض هذا كله . ولا يميل اليه . ملزم مع ذلك ان يبحث عن حياة الامة الاسلامية . اذا بحث عن حياة ابي العلاء فانه ان لم يفعل ذلك . استحال عليه ان يفهم الرجل او يهتدي من امره الى شيء . »(٥)

من اجل ذلك خصص طه حسين بابا شغل حيزاً كبيراً من الكتاب (نحو ثلثي الكتاب) . درس فيه زمان ابي العلاء ومكانه وشعبه والحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية في عصره . وقبيلته واسرته . ليرى اثر ذلك كله في شعره وادبه .

المنهج التأثري او الانطباعي :

تعني التأثرية او الانطباعية ان يقوم النقد على وصف الانطباعات والاحاسيس التي تتركها قراءة النص الادبي في نفس الناقد . بدلاً من تفسير النص الادبي في ضوء نظريات علمية . والحكم عليه على وفق قواعد واصول ربما يكون النص بعيداً كل البعد عنها

(٥) تجديد ذكرى ابي العلاء . ص ١٥ ـ ١٧ .